﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: 1]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

تقريرُ سلطان الله تعالى في هداية الخلقِ وإهْلاكِهم

لمّا ضرب الحقُّ ﷻ مَثَلَ الكافرين بامرأتين، كانتا تحت نبيَّين، فلم يغنِ عنهما صلاحُ الأزواج، ومَثَلَ المؤمنين بآسيةَ ومريمَ، وقد أحاط بهما الكفرُ من كلِّ جانب، ومع ذلك بلَغنَ أعالي الجِنان، وكان في ذلك إشارةٌ بالغة إلى أنَّ الهداية والضَّلالة، والنَّعيم والشَّقاء، ليست بأسبابِ النّاس، ولا بالأحسابِ والأنساب، ولكنَّها بعلم الله وقضائه، وتصرُّفه في ملكه بما شاء على ما سبق به قضاؤه - ناسَبَ أن تُفْتَتَح سورةُ الملك بالتَّنزيه التّامِّ، فقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، أي: تعاظم شأنه، وجلَّ سلطانُه، لا يُسأل عمّا يفعل، وهم يُسألون، يحكمُ بين عباده بما سبق به علمُه، وجرت به مشيئتُه، فمَن أعرض عن الله؛ قصَمَهُ سبحانه، وأهلكه، فلم يُغْنِ عنه أحد، ومن أقبَلَ على مولاه بقلبٍ سليم؛ رفعه، واستخلصه، ولَم يَضُرَّه أحد[1].

تنزيه الله ﷻ عن صفات المخلوقين

ولمّا خُتِمت سورة التَّحريم بالحديث عن مريمَ ابنةِ عمرانَ؛ جاءت سورةُ الملكِ مُناسبةً لها؛ مِنْ حيثُ إنَّ كلمة ﴿تَبَٰرَكَ﴾ تعني تنزيهَ الله ﷻ عن صفات المخلوقين، كالولَدِ، وذلك مُشعِرٌ بأنَّ ﴿تَبَٰرَكَ﴾ تنفي ما ادَّعاه النَّصارى بأنَّ عيسى ابنُ الله، فـ ﴿تَبَٰرَكَ﴾ تعني: تعالى، وتقدَّس، وتعاظم، وارتفع، وتبرَّأ عن الولدِ والشَّريك[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَبَٰرَكَ﴾: (برك) تدلُّ تصريفاتُها على ثبات الشَّيء، ثمَّ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 219، والبقاعي، نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 217.
(2) الدينوري، تفسير ابن وهب: 2/ 423.

يتفرَّع ذلكَ فروعًا يُقارِبُ بعضُها بعضًا[1]، والمعنى المحوريُّ هو: ثباتٌ واستمرارٌ مع لطفٍ[2]، و(تبارك): فِعلٌ ماضٍ لا يتصرَّف، وأصله: مِنَ البَرْك، وهو صَدْر البعير؛ إذا أناخَ في مَوضِعٍ، فلَزِمَهُ، وثَبَتَ فيه، واعتُبِر منه معنى اللُّزوم، فاشتُقَّ منه: البرَكَة، وهي بمعنى: الثُّبوت والكَثْرة، أو النَّماء والزِّيادة والاتِّساع في الشَّيء والحال، بحيث يبقى، وتَدوم منفعتُه أطولَ مُدَّة، فلا ينفَدُ سريعًا، وغلَب إطلاقُها على ثُبوتِ الخيرِ الإلهيِّ في الشَّيء، وقيل لكلِّ ما يُشاهَد منه زيادَةٌ غيرُ محسوسة: هو مُبارَكٌ، وفيه بركةٌ[3]، والمعنى هنا: تعاظَمَ، وتعالى، وتَنَزَّه، وتقدَّسَ، وكثُر خَيرُه، وعمَّ إحسانُه[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تمجيد الرَّبِّ العظيم بتفرُّده في الملك والتَّدبير

مَجَّد اللّٰه تعالى نفسه بملكه وقدرته، فقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، أي: تعاظم، وتقدَّس من انفرد بمُلك الأكوان، لا يُشاركه في سلطانه أحد، ولا ينازعه في أمره مخلوق، يجري قضاؤه على وفْق علمه، ويقضي في ملكه بما شاء، متى شاء، كيف شاء؛ فله الأمر كلُّه، وله الحكم أجمعه، لا يُعقَّبُ حكمه، ولا يُردُّ قضاؤه[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

براعة الاستهلال في السورة الكريمة:

التَّمهيد لمقاصد السّـورة، من التَّنزيه والإثبات، والرَّدِّ على ضلال المُشركين

افتتح اللّٰه تعالى سورةَ الملكِ بقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، فكان في هذا المَطْلَعِ الشَّريف تعريفٌ للمؤمنين بجلال ربِّهم، وإشعارٌ بعظمته وكمال سلطانهِ، وتفرُّده بالملك الحقِّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (برك).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (برك).
(3) الرّاغب، المفردات، والسَّمين، عُمدة الحُفّاظ، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (برك).
(4) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 505، والقنوجي، فتح البيان: 14/ 229.
(5) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 505، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 205، 206، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 176، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 875.

الذي لا يعتريهِ زَوالٌ، ولا يُشارِكُه فيه أحَدٌ. وفيه دعوةٌ إلى التَّأمُّل في إحكامِ خَلْقِه، وإتقانِ صُنْعِه، الدّالِّ على انفراده بالألوهيَّة، واستحقاقه للعبادة دون سواه، فجاء هذا الاستهلالُ البليغ مُمهِّدًا لمقاصد السّورة، من التَّنزيه والإثبات، والتَّنبيه على ضلالِ المُشركين الذين نسَبوا إلى اللّه الشُّركاء في تدبير الكون، وعَطَّلوا بعضَ صفاتِه وأفعالِه - فجاءت السّورة من أوَّلها إلى آخرها تدور حول رَدِّ هذه المزاعم، وتقرير كمالِ اللّهِ في ملكِه وقدرتِه، وعلمِه وحكمته، وكان مطلعُها براعةَ استهلالٍ تُمهِّد لهذا المقصدِ الجليلِ[1].

بلاغة التَّعبير بالبركة دون غيرها مِن ألفاظ الوَفْرة والنَّماء:

الإشـــارة إلى الوصف المختصّ بجلاله وعظمته

البركة: كثرة الخيرِ ودوامُه، ولا أحد أحقُّ بها وصفًا وفعلًا من اللّه ﷻ، فهو وحده الذي ﷻ، وقد فُسِّر قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾ بمعانٍ متعدِّدة، فقيل: تعاظَم، وقيل: تقدَّس، والقداسَةُ هي الطَّهارة، وقيل: معناه كثُر خيرُه، ودام، فهو سبحانه مصدَرُ كلِّ بركةٍ، وباسمه يُبارَك في كلِّ شيءٍ، والبركَةُ على نوعين:

أحدهما: بركةٌ من فِعْلِ اللّه ﷻ، والفعل منها: (بارك)، وقد يتعدّى بنفسِه، أو بـ(على) أو بـ (في)، ويكون المفعول منهُ: (مباركًا)، أي: مَن جعله اللّه مباركًا بفضله، كما قال في عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: 31]، فكلُّ مَن بارك اللّهُ فيهِ أو عليه، فهو المبارك حقًّا.

وأمّا النَّوع الثّاني: فهي البركة التي تُضاف إلى اللّه إضافةَ الصِّفة المختصَّة به، كما تضاف إليه الرَّحمة والعزَّة، ولفظها: (تبارك)، وهذا لا يُطلق إلّا عليه سبحانه، ولا يصحُّ لغيره، ولهذا لا يُقال لمخلوق: (تبارك فلان)؛ لأنَّ هذا وصف مُختصٌّ بجلاله، وقد

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 7.

أطلَقَ اللَّهُ تعالى هذا الوصفَ على نفسه في غير ما موضِعٍ، فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: 54][1].

فكان التَّعبير بالبركَةِ دون غيرها من الألفاظِ؛ لكثرة المعاني المندرجةِ تحت هذا اللفظِ، ولاختصاصه باللَّه ﷻ.

بلاغة التَّعبير بالفعل ﴿تَبَٰرَكَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

الـدَّلالـة على ثـبـوت الـوصـف لله تعالى ثبوتًا راسخًا في ذاتـهِ وصفاته وأفعاله

فعل ﴿تَبَٰرَكَ﴾ لا يُشتقُّ منه مضارعٌ ولا أمرٌ ولا مصدر، ولا يُستَعمل منه اسمُ فاعِلٍ أو مفعول، بل جاء بصيغة الماضي فقط، دالًّا على ثبوت الوصْفِ للَّه تعالى ثبوتًا راسخًا في ذاته وصفاته وأفعاله، بركةً لا يُدانيها شيء، ولا تليق إلّا بالملك العظيم، فإذا كان العبد، يوصف بالمُبارك لكثرةِ خيرِه ونفعه؛ فاللَّه ﷻ أحقُّ أن يكون متباركًا؛ إذ كلُّ خير في الوجود من فيضِهِ وإحسانه. وفعل ﴿تَبَٰرَكَ﴾ يدلُّ على عظمة اللَّهِ، ورفعة شأنِه، وسعَةِ خيره، ودوام كماله؛ لذا يُستعمل غالبًا لافتتاحِ الحديث عن جلاله وكبريائه[2]، وقد فرَّق اللُّغويّون بين (بارك) التي تُستَعمل للبشَرِ، و(تبارك) التي اختصَّ اللَّه بها، فلا تُقال لغيرِه.

نكتة التَّعبير عن البركة بصيغةِ التَّفاعل:

الـدَّلالـة على الكمال المُطلق، والإنباء عن أتمِّ وجوه التَّعظيم

صيغة ﴿تَبَٰرَكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ دلالةٌ على المُبالغة في تَحقُّق الفعل، وعلى كثرة الخيرات وتضاعُفِها، وقد جاء هذا اللَّفظ مقتَضيًا عمومَ الكمال، فكلُّ صنف من أصناف الكمال والخير ثابت للَّه تعالى، لا يشذُّ منها وصف، ولا يتخلَّف منها نوع؛ إذِ الكمالُ المُطلق صِفته وكلُّ وفرة من الكمال ثابتَةٌ للَّه تعالى[3]، فاللَّفظة دالَّة على الكمال المُطلق، ومُنبئة عن أتمِّ وجوه التَّعظيم، ولعظيم شأنِها وتمام معناها؛ لَم يَصِحَّ إطلاقُها على غيره سبحانه؛ إذ لا يليقُ وصفُها إلّا بمَنْ له الكمالُ وحدَهُ، وهو اللَّه ﷻ.

(1) ابن القيِّم، بدائع الفوائد: 2/ 186.
(2) ابن القيم، جلاء الأفهام، ص: 304.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 9.

وباعتبار ما يُفيضه الله تعالى على خلقه من صنوف الخيرات، وكثرة ما ينزله من ألوان الإنعام؛ جاز أن تُفهم صيغة ﴿تَبَارَكَ﴾ على جهة إفادة نماءِ تلك الخيرات وازديادها شيئًا فشيئًا، بحسب تجدُّدها أو تجدُّد أسبابها في الكون[1]، فجميعُ البركاتِ صادرةٌ عنه ﷻ، غيرَ أنَّ هذا المعنى مضمَّن في لفظ الصِّفة لا مصرَّح به، أمّا المصرَّح به صراحةً؛ فهو علوُّه واستحقاقُه التَّعظيمَ والتَّنزيهَ[2]، وفي هذا مُناسبةٌ لِما ورَدَ في السّورة من تَعداد نعم الله على عباده وتنزيهه تعالى عن النَّقص في ربوبيَّته.

إفادة نماء الخيرات التي يُفيض بها سُبحانه على خلقه

ومِن فوائدِ استِعمالِ البركَةِ بصيغَةِ (تفاعُل)، الدَّلالةُ على تَمكُّنِ الصِّفة في الموصوف، وثباتها فيه ثباتًا لا يُمكِنُ أن يزعزعها عن ذلك الموصوفِ.

الدَّلالة على تَمكُّنِ الصِّفة في الموصوف وثباتِها فيه

دلالَةُ صيغَةِ التَّفاعل بين الخبريَّة والإنشائيَّة:

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾ يَحتَمِلُ أن يكون إخبارًا خالصًا عن عظمة اللهِ تعالى وكماله، كما يجوز - مع ذلك - أن يكونَ مُتَضمِّنًا لإنشاءِ الثَّناء من الله على نفسِهِ العليَّة، كما في قول: (سبحان الله) أو (تعالى الله) بنيَّة تمجيده، لا مُجرَّد الإخبار عن صفاته، وفي هذا الوجه تعليمٌ للعباد كيف يُثنون عليه، ويمجِّدونه؛ فهو إمّا كنايَةٌ بالجُملة عن إنشاءِ المدح، وإمّا استعمالٌ لصيغةٍ تَحتَمِلُ الإخبارَ والإنشاء في آنٍ واحد بأسلوب بليغٍ لا يتأتّى بغير هذا اللَّفظ؛ إذْ لو جاء التَّعبير بصيغةٍ خاصَّة بأحدهما فقط؛ لفُقِدَ الجَمْعُ البيانيُّ البديعُ الذي تضمَّنه هذا التَّركيب القرآنيُّ المُعْجِز[3].

الإخبارُ عن عظمة الله تعالى وكمالِه، وتعليمُ العبادِ كيفَ يُثنون عليهِ ويمجِّدونه

بلاغَةُ التَّعبير بالاسمِ الموصولِ المُفْرَدِ المُذكَّر:

لمّا قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾، وهوَ لفظ يدلُّ على عظمةٍ متناهيةٍ،

الإيحاءُ بالعظمة، والتَّأكيد على اختصاصِ اللهِ وحدَهُ بالمُلْكِ المُطْلَقِ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 2.
(2) المجاشعي، النُّكت في القرآن الكريم: 1/ 505.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 9.

وخيرٍ دائمٍ لا يُدانيه خيرٌ؛ جاءَ بيانُ الفاعلِ بصيغةٍ تُعظِّم، وتُفَخِّم، فقال سُبحانَهُ: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، ولم يَرِدِ النَّظم القرآنيُّ هنا: (تبارك الله) أو (تبارك الملك) مباشرةً؛ لأنَّ صيغة الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ تحمِلُ في طيّاتها التَّعظيمَ، وتوحي بأنَّ مَن بيده المُلْكُ هو الموصوفُ وحده بالقُدرة المطلقة.

واستخدامُ الاسمِ الموصول بدلَ الاسم الظّاهر يُفيد التَّفخيمَ والتَّعظيم، كما تقول عن ملكٍ عظيم: "قال الذي يجلس على العرش"، فالصّيغة توقِظُ في السّامع الهيبَةَ، والتَّوحيدَ؛ لأنَّه لم يقل: (الملِك)، فقد يُشارِكه في الاسمِ غيرُه، بل قال: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، أي: لا يُشاركه فيه أحدٌ، فجاء التَّعبير بالموصولِ؛ ليَكونَ جامعًا للمعنى، مانعًا من المُنازعة، ففي هذا الأسلوب إيحاءٌ بالعظمة، وتأكيدٌ على اختصاصِ الله وحده بالملك المُطْلَق[1].

صـرفُ الانتـبـاهِ إلـى مَـضْـمـونِ الصِّلة

وأيضًا فقد جاء التَّعبير بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ بدلًا من الاسم الأحسَنِ (الله)، في قوله تعالى: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾؛ لمُناسبة سياق الآية؛ إذ أُريد صرفُ الانتباه إلى مضمون الصِّلة، وهو تفرُّد الله بالملكِ المطلق، فهذا هو موطِنُ العِبرَةِ ومحلُّ التَّمجيد، فالموصول هنا يُفيد أنَّ ما بعده صفةٌ مشهورةٌ لصاحبها، مِمّا يُغني عن التَّصريح باسمه؛ إذ لا يُشار إلى مَن بيده الملك المطلق إلّا إلى الله تعالى، فصار ذِكْرُ الصِّلة دالًّا عليه بذاته، ومؤكِّدًا لتفرُّده بما لا يشاركه فيه أحَدٌ[2].

فائدةُ مجيء صِلة الموصول جُملةً اسميَّة:

عُبِّر بجملة الصِّلةِ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ جُملةً اسميَّة؛ للدَّلالةِ على الثَّبات والدَّوام والاستمرار؛ إذ الجملُ الاسميَّة

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 9.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 2.

تُفيد الاستقرارَ والثُّبوت، فكأنَّهُ قيل: كما أنَّ بركته دائمةٌ لا تنقطع؛ فكذلك مُلكه دائمٌ لا يزولُ.

سِرُّ تقديم خبر صِلَةِ الموصول على المبتدأ:

تقريرُ اختصاص الله وحده بالملك الحقيقيِّ ونفيُ الاعتداد بكلِّ مُلكٍ سوى مُلك الله تعالى

تقديمُ شِبه الجُملة ﴿بِيَدِهِ﴾ على المبتدأ ﴿ٱلْمُلْكُ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ يُفيد القصرَ والاختصاص، فكأنَّه قال: (بيده وحده الملكُ دونَ غيره)، أو (اختصَّ بالملك دون سواه)[1]، وهذا القصرُ قصرٌ ادِّعائيٌّ، يُراد به نفيُ الاعتدادِ بكلِّ مُلكٍ سوى مُلك اللّه تعالى؛ إذ لا يُعتدُّ بما يبدو من تمليك الملوكِ والخلفاء للأقاليمِ والبلدان، فهو مُلْكٌ منقوصٌ، لا يُحيط بجميع الأشياء، وهو مُعرَّض للزَّوال والفناء، بخلاف مُلك اللّه تعالى، فهوَ المُلك الكاملُ الثّابت الذي لا يزول، وهو وحدَهُ المَلِكُ الحَقُّ، كما قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [طه: 114]، وما يراه النّاس من مُلك غيرهِ إنَّما هو وهمٌ لا حقيقةَ له[2].

بلاغة التَّعبير بـ(أل) في ﴿ٱلْمُلْكُ﴾:

الدَّلالة على أنَّ ملك الله سُبحانه هو المَلِكُ الحقيقيُّ المُطلقُ الشّاملُ كُلَّ شيء

جاء لفظ ﴿ٱلْمُلْكُ﴾ في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ معرَّفًا بـ(أل)، وهي إمّا للعهدِ، أي: المُلكُ الإلهيُّ المُطلق المعروفُ، كما في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: 26]، وإمّا للجنس أو للاستغراق، فتُفيد شمولَ كُلِّ أنواع المُلك، فكلُّ ما يُعدُّ ملكًا فهو داخلٌ في هذا اللَّفظ، ما دام التَّعريفُ للاستغراقِ أو للجِنْسِ. ومع أنَّ القرآن أثبَتَ نوعًا من المُلْكِ للمخلوقين، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [المؤمنون: 6]، إلّا أنَّ هذا ملك نسبيٌّ ناقص، مُقيَّد بحدودِ الزَّمان والمكان، ومربوطٌ بإذْنِ الشّارع، فلا يملِكُ الإنسان أن يتصَرَّف فيه كما يشاء، بل وفْقَ ما شَرَعَهُ اللّه، ومنع التَّبذير

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 11، والسّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 876.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 10.

والإتلاف، كما في قوله: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: 5]، أمّا ملك الله سُبحانه؛ فهو الملكُ الحقيقيُّ المُطلق، الشّامل كُلَّ شيء، يتصرَّف فيه بما شاء، لا يُسأل عمّا يفعل، والخَلْقُ يُسألون(1).

سِرُّ إضافة اليدِ إلى الله تعالى، وبلاغة الكناية في التَّعبير بها:

إضافة (اليد) إلى الله تعالى في قوله: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ فيها إثبات صفة اليدِ لله تعالى على وجهٍ يليق بجلاله، فهي من صفاتهِ الذّاتيَّة الثّابتة، وهو المذهب الذي عليه السَّلفُ(2)، وفيها مع المعنى الأصليِّ كناياتٌ، ففيها كنايةٌ عن القوَّة والقدرة المُطلقة، فهو سبحانه بيده وحدهُ مقاليد كُلِّ شيء، يُعِزُّ من يشاء، ويُذِلُّ من يشاء، يحيي ويميت، يُغْني ويفقر، ويقضي في الخَلْقِ بِما يشاء(3).

إثبات الصِّفة الذّاتيَّة لله تعالى على الوجه اللّائق مع الدَّلالة على لوازمها

وفيها أيضًا كنايةٌ عن الملكِ التّامِّ والتَّصرُّف الكامل في الكون(4)، وعن الإحاطةِ والقهر لكلِّ شيء(5)، كما أنَّها تدلُّ على استغناء الله المُطلق عن الخلق، وافتقار الخلق المطلق إليه(6).

سِرُّ التَّعبير بالواو في قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

الواو في قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، إمّا أن تكونَ حاليَّةً، فيكون قوله: (هو على كل شيء قدير)، معناه: حالَ كونهِ مُشتملًا على طلاقةِ القُدرة، أو حالَ كونهِ على كلِّ شيء قدير، وإمّا أن تكونَ الواوُ عاطفَةً على جملة: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، والتَّقدير: (الذي هو على كلِّ شيء قدير)، فتكونَ جملةُ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ معطوفةً على جُملة: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، وهذه جملة اسميَّة معطوفة عطفَ جملةٍ

بيانُ أنَّ المُلك الذي بيدِهِ سُبْحانَهُ ليس مُلكًا مع عجز، بل هو ملكٌ صادِرٌ عن قُدرة مُطلقة

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 10، والعثيمين، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: 1/ 19.
(2) القنوجي، فتح البيان: 14/ 229، وقاسم، عقد الجمان: 1/ 1210.
(3) الهرري، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 30/ 11.
(4) المنصوري، المقتطف من عيون التَّفاسير: 5/ 281.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 220..
(6) الكوراني، غاية الأماني: 1/ 195.

على جملة، فيكونَ سِرُّ التَّعبير بالواوِ هو التَّشريك بَيْنَ الجملتين في حدوثِ البركة أو في وجود البركةِ بين المالك والقديرِ، أو بين المالكِ وصاحب القُدرة، وهما واحدٌ بين المالك المقتدر الموصوف بالملك وبالقدرة في وقت واحد، فلمّا كان المُتصرِّف في الملك قد يَعْتَريه عَجْزٌ، أكَّد الله تعالى كمالَ ملكِه بعموم قُدرته، فقال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ ليُظْهِرَ أنَّ المُلك الذي بيده ليس مُلكًا مع عجز، بل هو ملكٌ صادرٌ عن قدرة مطلقة، فلا يتخلَّف عن إرادته شيءٌ[1].

تقريرُ مضمونِ الصِّلة وإفادة جَريانِ أحكام ملكِهِ تَعالى في جلائلِ الأمور ودقائقِها

كما أنَّ جُملة: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ليست تأكيدًا مجرَّدًا لمَعْنى ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، بل هي تعميمٌ بعد تخصيصٍ، فهي مَعطوفةٌ على جُملةِ: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ الَّتي هي صِلةُ الموصولِ، وهي تَعميمٌ بعْدَ تَخصيصٍ؛ لتَكميلِ المقصودِ مِن الصِّلةِ. وهي مُقرِّرة أيضًا لمضمونها، مُفيدةٌ جريانَ أحكامِ مُلْكِه تعالى في جلائلِ الأمور ودقائقها[2]؛ إذ أفادتِ الصِّلةُ عُمومَ تَصرُّفِه في الموجوداتِ، وأفادتْ هذه عُمومَ تَصرُّفِه في الموجوداتِ والمعدوماتِ؛ بالإعدامِ للموجوداتِ، والإيجاد للمعدومات، فيكون قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ مُفيدًا مَعنًى آخَرَ غيرَ ما أفادَهُ قولُه: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، وتكونُ هذه الجُملةُ تَتميمًا للصِّلةِ، وفي معْنى صِلةٍ ثانيةٍ، ثمَّ عُطِفَت، ولم يُكرَّرْ فيها اسمُ مَوصولٍ[3].

فائدة التَّعبير بالضَّمير في قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

تأكيد انفراد اللهِ تعالى بالألوهيَّة ونفي كُلِّ صفات النَّقص عنه

الضَّمير الأوَّل في ﴿بِيَدِهِ﴾ راجعٌ إلى الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾، في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، والضَّمير (هو) في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ جيء به على هذا الوضع على

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 219.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 2، وابن عجيبة، البحر المديد: 7/ 92.
(3) الطِّيبي، فتوح الغيب: 15/ 526 - 527، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 2، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 11.

الأصل من جِهَةٍ، وللدَّلالة على انفراده ﷻ بالملك من جهةٍ أخرى[1]، فجيء بالضَّمير مُفردًا مُذكَّرًا مواطِئًا لاسم الموصولِ المُفرد المُذَكَّر، وتأكيدًا لانفراد اللهِ تعالى بالألوهيَّة ونفيِ كُلِّ صفات النَّقص عنه، كما يدَّعي المشركون وأهلُ الكتابِ.

سِرُّ التَّعبير بلفظ ﴿كُلِّ﴾:

لَفْظُ ﴿كُلِّ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يدلُّ على العموم المُطلق، ويُفيد شمول القُدرة لِكُلِّ شيء من غير استثناءٍ، فيشمل الموجوداتِ والمعدوماتِ مِمّا وُجِدَ، ومِمّا لم يوجد[2]، الكُلّيّاتِ مِنْها والجزئيّات، ما كانَ وما سَيكونُ.

الدَّلالة على العموم المُطلق الذي لا يدخل التَّخصيص

سِرُّ إضافَةِ ﴿كُلِّ﴾ إلى ﴿شَيْءٍ﴾:

لفظُ ﴿كُلِّ﴾ يدلُّ على العموم، ولفظُ ﴿شَيْءٍ﴾ دالٌّ عَلى العموم في النَّفي نَصًّا، وفي الإثبات ظاهرًا، فدلالتُه على العموم دلالَةٌ قطعيَّة في سياق النَّفي، فتقول: لا شيءَ إلّا واللهُ يعلَمُه، ولا شيءَ إلّا تحتَ قُدْرَةِ اللهِ، فما مِن شيءٍ إلّا واللهُ يُدْرِكُ خَفاياهُ، فلفظُ (شيء) في الإثباتِ تَدُلُّ على العموم ظاهرًا في الغالب، وتَدُلُّ في النَّفي على العموم قَطْعًا لا احتمالًا؛ لعدَمِ العُمومِ فيه، فَلَمّا أُضيف لفظُ ﴿كُلِّ﴾ إلى ﴿شَيْءٍ﴾؛ كان المرادُ العمومَ القطعيَّ الذي لا يمكنُ أن يدخلَهُ التَّخصيصُ، ومنشأُ ذلك: أنَّ لفظَ ﴿شَيْءٍ﴾ أعمُّ ألفاظ اللُّغة العربيَّة، وقد أُضيف إليه أقْوى الألفاظ في العموم، وهو لفظُ ﴿كُلِّ﴾، فدَلَّ ذلك على تَمَكُّنِ العموم في كُلِّ جُزئيّاته.

تمكُّنُ العموم في كُلِّ جُزئيّاته بحيث لا يمكن بحالٍ من الأحوال أن يدخله نوعٌ من التَّخصيص

فائدةُ تنكيرِ كلِمَة ﴿شَيْءٍ﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿شَيْءٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ للدَّلالة على العموم، كأنَّه قال: (وهوَ على كلِّ شيءٍ - كبيرٍ أو صغيرٍ،

إفادة العموم الدّالِّ على سَعة القُدرة الإلهيَّة وشُمولها

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 219.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 219.

عظيمٍ أو حقيرٍ، مُتصوَّر أو غير متصوَّر، موجودٍ أو معدومٍ - قديرٌ)، وهذا يدلُّ على سعة القدرة الإلهيَّة وشُمولها لِكُلِّ ما يُطلَق عليه اسمُ شيءٍ بلا استثناءٍ.

دلالةُ تنكير كلمة ﴿قَدِيرٌ﴾:

قُدرةُ اللهِ تَعالى لا مُنْتَهى لِكمالِها

نُكِّرت كلمةُ ﴿قَدِيرٌ﴾، وهي خبرُ المبتدأ (هوَ)؛ إذ التَّقدير: (وهوَ قدير على كُلِّ شيء)؛ للدَّلالة على التَّعظيم والتَّفخيم، وعلى كُلِّ المعاني التي تدور حول هذَيْنِ المَعنَيَين، فهو قديرٌ تامُّ القدرة[1]، قدرةً لا يُمْكِنُ أن يُكتَنَه كُنْهُها، ولا أن يُعرَف حَجْمُها.

بلاغةُ تقديم متعلِّق الخبَرِ:

إثباتُ عمومِ القُدرة لله تعالى واختصاصه بهذه الصِّفة دون غيره

قُدِّمَ متعلِّق الخبرِ - وهو شبه الجملة - ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ لإفادَةِ شمول القدرة الإلهيَّة وعمومها على كُلِّ شيء واختصاصِه تعالى بذلك، فلو كان تركيبُ الجُمْلَةِ عَلى الأصلِ بلا تقديم: (وهو قديرٌ على كُلِّ شيء)؛ لكان فيها إثباتُ معنى القدرة أوَّلًا، ومِن ثَمَّ إثبات شموليَّة هذه القُدرة على كُلِّ الأشياء ثانيًا، أمَّا تقديم شبه الجملة: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ ففيهِ إثباتُ الشُّموليَّة لمعنى القُدرةِ، ومن ثَمَّ إسنادها للّٰه تعالى واختصاصه بهذه الصِّفة دون غيره، فالأذهانُ قد تتوهَّم أنَّ هناك من يُشارك المولى في صِفاتِه، فيأتي التَّقديم والتَّأخير؛ ليزيل هذا الوهم، ويُثْبِت معنى الصِّفة للّٰه تعالى بِشُمولِها وكمالها، فهو الذي يستحِقُّ أن يُفرد بالعبوديَّة والإلهيَّة، وفي ذلك إشارةٌ إلى إبطالِ دَعاوى المشركين في ألوهيَّة أصنامهم، مع اعترافِهم بأنَّها لا تَقدِرُ على خلْقِ السَّمواتِ والأرضِ، ولا على الإحياءِ والإماتةِ[2].

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 219.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 11، وابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 876.

بلاغة التَّعبير بصيغة فعيل في لفظ ﴿قَدِيرٌ﴾:

في انتخابِ كَلِمَةِ ﴿قَدِيرٌ﴾ على وزن (فعيل) دلالة على المبالغة والثَّباتِ؛ ليُفيد أنَّ القدرة صفةٌ ذاتيَّةٌ لازمةٌ للّٰه تعالى، وهي قدرة تامَّةٌ وشاملةٌ لكلِّ شيء على الدَّوام، فلا يخرج عن سُلطانه شيءٌ.

الـقـدرةُ صفةٌ ذاتيَّةٌ لازمةٌ لله، وهيَ قدرةٌ تامَّةٌ وشاملةٌ

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62 : المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-640-02-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"